كحلاء في برج صفراء في دعج | كأنها فضة قد مسها ذهب

لان الاول مما يندر وجوده دون الثاني فان الناس ابدًا يرون
في الصياغات فضة قد موهت بذهب ولا يكاد يتفق ان يوجد
درر قد نثرت على بساط ازرق واما كونه كثير التفصيل كتشبيه
المرآة بالشمس في كف الاشل فان وجه التشبيه فيه هو الهيئة
الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة
المتصلة مع تموج الاشراق واضطرابه حتى يرى الشعاع كانه
يهم بان ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو له
فيرجع الى الانقباض وهذه الهيئة لا تتم في نفس الرائي للمرآة
الدائمة الاضطراب الا بعد ان يستانف تاملا ويكون في نظره
متمهلا فالغرابة في هذا التشبيه من وجهين احدهما قلة تكرار
المشبه به على الحس والثاني كثرة التفصيل في وجه الشبه
والمراد بالتفصيل ان يعتبر الاوصاف وجودها او عدمها
او وجود بعضها وعدم بعضها كل ذلك في امر واحد او امرين
او ثلاثة او اكثر ويقع على وجوه كثيرة اعرفها وابلغها وجهان
احدهما ان تاخذ بعضا من الاوصاف وتدع بعضا كما في قول
امرئ القيس

حملت ردينيا كان سنانه | سنا لهب لم يتصل بدخان

فقطع السنا عن الدخان واثبته مجردا والثاني ان تعتبر الجميع
كما في قول الآخر

وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى | كعنقود ملاحية حين نورا

فانه اعتبر من الانجم الشكل والمقدار واللون واجتماعها على
المسافة المخصوصة في القرب ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور

من الملاحية وهي بضم الميم وهو عنب ابيض في حبه طول
وكلما كان التركيب من امور اكثر كان التشبيه ابعد وابلغ كقوله
تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا
او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس فانها عشر جمل
اذا فصلت وهي وان دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كانها
جملة واحدة فان ذلك يمنع من ان تشير اليها واحدة واحدة
ثم ان التشبيه منتزع من مجموعها من غير ان يكون فصل
بعضها عن بعض حتى لو حذفت منها جملة اخل ذلك بالمغزى من
التشبيه ومن ابلغ الاستقصاء في التفصيل وعجيبه قول
ابن المعتز

كانا وضوء الصبح يستعجل الدجى | نطير غرابا ذا قوادم جون

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح باشخاص الغربان
ثم شرط ان يكون قوادم ريشها بيضا لان تلك الفرقة من
الظلمة تقع حواشيها من حيث يلي معظم الصبح وعموده لمع نور
يتخيل منها في العين كشكل قوادم بيض وتمام التدقيق في هذا
التشبيه ان جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه ظلام الليل
كانه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بان تتمهل في حركتها
ثم لما راعى ذلك في التشبيه ابتداء راعاه اخرا حيث قال
نطير غرابا ولم يقل غرابا يطير لان الطائر اذا كان واقعا
في مكان فازعج واطير منه او كان قد حبس في يده فقبض فارسل
كان لا محالة اسرع لطيرانه وادعى له ان يستمر على الطيران

Copyright © King Saud University